بطولة ملك

(٦)

مُحَايِدٌ ومُحَارِبٌ

د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الثُّنَيّان

مكتبة العبيكان

obeikandl.com

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤١٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الثُنيّان، عبد العزيز بن عبد الرحمن

محايد ومحارب. - الرياض.

٢٤ص، ١٧ X ٢٢ سم (سلسلة بطولة ملك؛٦)

ردمك: ٤-٤٧٧-٢٠-٩٩٦٠

١- عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، ملك السعودية

٢- السعودية - تاريخ الملك عبد العزيز ٣- كتب الأطفال - السعودية

أ - العنوان ب - السلسلة

ديوي ٩٥٣،١٠٥ ١٨/٤٠٨٧

ردمك: ٤-٤٧٧-٢٠-٩٩٦٠ رقم الإيداع: ١٨/٤٠٨٧

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

حقوق الطبع محفوظة للناشر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة.

ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥

هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤، فاكس: ٤٦٥٠١٢٩

obeikandl.com

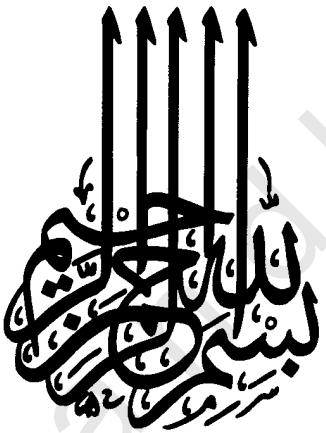

obeikandl.com

obeikandl.com

مُحَايِدٌ ومُحَارِبٌ

. . . وقامَت الحربُ العالميةُ الأولَى عام ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م، وأكلَت الأخضرَ واليابسَ، ومزّقت العالمَ، ودمّرت الاقتصادَ، وصارت الدنيا أحلافاً وأنصاراً.

ونظرَ الملكُ البطلُ إلى هذه النار المحرقة، وهو يُوحِّدُ أجزاء الوطن الممزَّق، ويُلملمُ العقد المنتثرَ، ويُعيدُ بناءَ دولة كانَ لها تاريخٌ عريقٌ، وماضٍ مجيد.

فما أحوجَ الأممَ إلى العباقرة من الرجال، وللعظماء من القادة حين تشتدُّ الخطوب وتختلط المصالح!

وتلاطمتْ جيوشُ دول التحالف، وقُذفت المدنُ، ودُكَّت الحصونُ، وهَبَّ الرسلُ من كل فريق يخطبون وُدَّ هذا، ويُمَنُّونَ ذاك.

وخشيَ الملكُ عبدُ العزيز أن يصلَ الصراعُ إلى بلاده، وأن يمتدَّ الخلافُ إلى الجزيرة العربية فتحرقَها نارُ الحرب.

إنه يعرفُ أنَّ الحربَ شرٌّ وبلاءٌ، وأنها بينَ الناس سجالٌ، والرأيُ فيها أبلغُ من القتالِ.

قيلَ لعنترة الفوارس: صفْ لنا الحربَ. فقالَ: أولُها شكوَى، وأوسطُها نجوَى، وآخرُها بلوَى.

ولهذا رغبَ أن يوحِّدَ الرأيَ مع جيرانه، فكتبَ إلى الثلاثة البارزين منهم، وهم ابنُ رشيد، والحسينُ بنُ عليٍّ، وابنُ صباح، وقالَ في رسالته إليهم: أرَى وقد وقعت الحربُ أن نجتمعَ للمذاكرة؛ عسَى أن نتفقَ علَى ما ينقذُ العربَ من أهوالها، أو نتحالفَ مع دَوْلةٍ لصَون حقوقنا وتعزيز مصالحنا.

وكانَ جوابُ أولئك الجيران مختلفاً، ومختلطاً، و مُحيِّراً، وعجيباً.

فالأمير المحاربُ الدائمُ ابنُ رشيد ردَّ على الملك بقوله: «إن أنورَ باشا - يقصدُ الواليَ التركيَّ في العراق - قد أرسلَ إليَّ عشرةَ آلاف بندقية، وبعدَ أن أكسِّرَها عليكَ وعلَى رجالك أفكِّرُ في الصلح معَك والقيام على التُّرك».

أما الآخر اللابسُ ثيابَ الصديق، الحسينُ بنُ عليٍّ، فأجابَ الملكَ بقوله: « سأرتقب الفرصة لعمل ما أراه».

وكانَ جوابُ مبارك الصباح: «إن في ميناء الكويت باخرةً بريطانيةً، فاحضرْ، وقابلْ رُبّانَها، وأنَا معَك على ما تتفقان عليه».

ولم تفلح الدعوةُ؛ فالرغباتُ متباينةٌ، والأمورُ مُختلطةٌ، ولم يتم التعاون، ولا صار اتفاق.

وقرَّر الملكُ البطلُ الحيادَ، والبُعْدَ عن مناصرةِ هذا، أو عداء ذاك.

إنه بحاجة إلى المال، ومعَ ذلكَ ابتعدَ، وبحاجةٍ إلى السِّلاح، فكبحَ رغبتَه، ولزمَ الحيادَ.

إن مجاهدةَ النفس بطُولةٌ وعظمةٌ، ومقاومة الحاجَة شجاعةٌ وإباءٌ.

وإن المرء ليحتارُ أمامَ هَذه الأحداث الجسَام، ويتأرجحُ تُجاه تلكَ الأمُور العظَام، وكيفَ يعملُ؟ وبمَن يثقُ؟ وما النتائجُ؟ ومَن الَّذي سينتصرُ في تلكَ الحربِ العالميَّة المهلكةِ؟ هَل هُم الحلفاءُ أو الألمانُ ومَنْ ناصرَهم؟

وجاءتْهُ الوفودُ إثرَ الوفود تَنشُدُ وُدَّه، وتطلُبُ عونَه وانضمامَه.

فقد أرسلَ الإنجليزُ رُسلَهم يذكِّرونَه بعَدَاء الأتراك، وبأنَّهم جيرانُه الأقربونَ في الخليجِ والخطِّ البحريِّ الممتدِّ منه إلى الهندِ.

وحاولَ السِّير (برسي كوكس) أنْ يُغريَ الملكَ عبدَ العَزيز بإعْلان الحَرب علَى الأتراك، وأكَّدَ لَه أنَّ بريطانيا سوفَ تساعدُه بالمَالِ والسِّلاحِ، ولكنَّه اعتذرَ عَن ذلكَ.

وجاءَ وفدٌ من تركيَّة ينشُدُون ودَّه، ويطلبونَ انضمامَه. وقالَ للوفد التركي: إنه محايدٌ، ولن يمنعَ تُجارَ نجدٍ من المساعدة على تموينِ الجيشِ التركيِّ بالأرزاق.

والتزمَ بوعده، وبقيَ على الحياد، في حين رأى الحسين بن علي في الحجاز يقومُ على الأتراك، ويناصرَ الإنجليزَ، ويُعلنَ أنه ملكُ العرب.

ولم يتعرَّضْ للقوة التركية الموجودة في عسير واليمن، بلْ تركَ رسلَ الأتراك وأموالَهم تغدُو وتروحُ بينَ اليمن والشامِ عن طريق بلاده.

إنه العقلُ وبُعْدُ النظر. يقولُ الأميرُ شكيبُ أرسلان: لما اشتعلت الحربُ العامةُ راسلَت الدولةُ - تركية - الأميرَ ابنَ سعود في خَوْض غمراتها إلى جانبها، فلم يُجبْ طلبَها، لا كُرهاً لهَا، بل خوفاً على بلاده من الإنكليز، لا سيما بعد أن رأى تقدُّمَهم في العراق، على أنه من الجهة الثانية لم يأت عملاً تَقْدرُ أن تعاقبَه الدولةُ عليه، بالرغم من مساعي الإنكليز لديه في ذلك، فكانتْ خُطَّتُه في هذهِ الحربِ التزامَ الحيادِ التامِّ.

وجاءَت الإغراءاتُ، وتوالت الرسلُ، وتتابعَت الخطاباتُ، وبقيَ يرقبُ الأمرَ، ويدفعُ عن وطنِه ويلاتِ الحرب ومآسيَ النزاع.

ووصلتْه رسالةٌ من ماجد بن عجيل، شيخ عبدةَ من شيوخ شمَّر، يطلبُ فيها من الملك عبد العزيز الصلحَ معَه، وأن يتوسَّطَ بإصلاحِ ما بينَهم وبين الإنكليزِ.

فأجابَه الداهيةُ العظيمُ بقوله: إني أُنذرُكم يا شمَّر، إذا كنتُم مخلصينَ لنا فتعالَوْا أقيمُوا في كبدي، وأمّا إذا كنتُم تفاوضونَ

الإنكليزَ وتساعدونَ التركَ، فأنا عدوُّكم والله، وقاهرُكم إن شاءَ الله.

ويصلُ إلى الرياض الوكيلُ السياسيُّ البريطانيُّ في الكويت الكولونيل هاملتن، ومعَه المستر جون فلبي، والكولونيل أوين، وتدورُ الاجتماعات، وتطولُ المناقشات، ويظلُ الملكُ البطلُ على الحياد، حتى أنه حين تحدث معه السر برسي كوكس، المقيم البريطاني في الخليج وذكره بالخلافة وانتقالها إلى العرب، وسأل الملك عبدالعزيز في أن تكون له رفض الملك ذلك، وبيَّن لكوكس أنه لا يطمع فيها ولا يرُيدها.

لكَ الله أيها العظيمُ! في أية مدرَسة تعلَّمتَ؟! وفي أية كليَّة تخرَّجت؟!

إنه الإغراء ولكن العقل سيّد الموقف، ثم الحذر وبُعد النظر.

وفي هذا الجوِّ القاتم، والحرب المحْرقة، والوفُود المتعدِّدة جاءتْ إلى الملك عبد العزيز الأخبارُ بأنَ سعودَ بنَ عبد العزيز بن متعب بن رشيد الذي تولّى إمارةَ حائل يستعدُّ لمقاتلة الملك عبد العزيز، وأنَّ الأسلحةَ التي وصلتْ إليه من تركية والأنصارَ الذين توافدُوا عليه من

فئات شمّر من داخل الجزيرة العربية والعراق زادَتْ من حماسته، وأنه سارَ بمَنْ انضمَّ إليه من الحاضرة والبادية، ووصل إلى قُبَه شرق الأسياحِ بالقصيمِ، ثمَّ تحرَّكَ لمهاجمةِ الملكِ البطلِ.

وتذكَّرَ الملكُ عبدُ العزيز رسالةَ ابن رشيد التي يقولُ فيها: عشرة آلاف بندقية أكسِّرها عليك وعلى رجالك، وعرفَ أنَّ ابنَ رشيد قابلَ الواليَ التركيَّ في البصرة، وتسلَّمَ منه السلاحَ والذخائر وشيئاً من المال.

وهبَّ الملكُ مسرعاً بعدَ معرفته للأمور لملاقاة هذا الخَصْم الطامع، وسارَ لملاقاته، والتقَى الجيشان على ماء جراب شمال شرقي مدينة الزلفي يومَ ٧ من ربيع الأول عام ١٣٣٣هـ، ٢٤/ ١/ ١٩١٥م، وكانَ معَ الملك عبد العزيز خيالةٌ من بعض القبائل، ودارتْ رحَى الحرب وتصادمَ الفرسانُ، واعتزَّ كلُّ فريقٍ، وانتخَى كلُّ مقاتل.

وحميَ الوطيسُ، واشتدَّ الهولُ، وفرَّ من جيش الملك عبد العزيز بعضُ رجال البادية أثناءَ المعركة، فأغارتْ باديةُ ابن رشيد على جناح السعوديين الأيسرِ، فأزاحُوه، واندفعُوا إلى الخيام ينهبونها.

وشاركَهم في النهب بعضُ الأعراب ممن كانوا مع الملك عبد العزيز وفرُّوا، وهذا ما آلَمَ الملكَ البطلَ وآذاه. كما أغارَ أعرابٌ آخرون على مخيم ابن رشيد، فجرَّدوه مما فيه، وساقوا ما وراءَه من الإبل غنيمةً باردةً.

وذُهِل القائدان، الملكُ عبد العزيزُ وابنُ رشيد، من رجال البادية الذين معَهم، وكيفَ باتُوا ينهبونَ ويسلبونَ، فتوجَّهَ كلٌّ زعيم يطاردُ الناهبينَ ويلاحقُ الطامعينَ، وكلٌّ منهما يتميَّزُ غيظاً من هؤلاء الأعراب الجُنَاة.

واختلَّ نظامُ المعركة، وتفرَّقَ الجمْعَان، لا غالب ولا مغلوب، لكن ظلَّ في الفؤاد حسرةٌ من رجال البادية الناهبين، وفي الفؤاد لوعةٌ من القُساة الطامعين، وفي الكبد جُرحٌ من أولئك الذين ولاؤُهم للمال، وحبُّهم للنهب، وكأنَّ الشاعرَ القطاميَّ عناهُم بقوله منذ العصر الجاهلي:

وأحياناً على بكْرٍ أخينَا إذا ما لم نَجِد إلا أخَانا

ورحلَ أولئكَ الأعرابُ بالغنائم والأسلاب، ورجعَ أولئكَ الجناةُ

وهمْ يتغنَّوْنَ ويتراقصُونَ بما تحقَّقَ لهم من كسبٍ ومال.

وغضبَ الملكُ عبدُ العزيز على العُصاة من رجال تلك القبيلة التي خانتْه في الوقت الرهيب، وغلبَها الطمعُ، فأخذتْ قسماً من إبله معَ أنها جاءتْ محاربةً معَه، ووصلتْ ضمنَ مقاتليه وأنصاره.

وبعد تلك المعركة التي لم ينتصر فيها أيٌّ من الفريقين، ورد للملك عبدالعزيز كتب من أمير الكويت، يشكوا فيها إحدِ القبائل التي نهبت قافلة من قوافله، ويطلب تأديب تلك القبيلة، ورد منهوباتها.

وقد احتار الملك في الأمر، فكيفَ يستجيبُ لهذا النداء ولهذه الدعوة وهو بينَ ذئاب الأعداء؛ فابنُ رشيد خَصمٌ يحاربُه، وأولئك الأعرابُ تمرَّدُوا وخرجُوا عن الطاعة، وابن صباح يكتبُ ويُلحُّ، والحربُ العالميةُ قائمةٌ، والمصالحُ مختلطةٌ.

إنهَا مواقف تحيِّر أمهرَ الدُّهاة، وتُربكُ أعظمَ القادة.

وتمهَّلَ الملكُ وتريَّثَ في الاستجابة لدعوة مبارك بن صباح، وأجَّلَ ملاحقةَ أولئك العصاة وتأديبَهم؛ فهمْ أعرابٌ شَذُّوا، وبُغاة نفرُوا، والصحراءُ أمامَهم، والوقتُ فيه متَّسعٌ لمحاسبتهم، وفي الأفق ما هو

أهمُّ، وفي الميدان ما هوَ أوجبُ.

ولكنْ توالَتْ رسائلُ ابن صباح إلى الملك عبد العزيز يطلبُ تأديبَ المذنبينَ وردَّ المنهوبات. وبينمَا الملكُ في شقراءَ وصل إليه النجَّاب[1] من ابن صباح، وفي الوقت نفسه جاءَهُ رسولٌ من قِبَلِ ابنِ رشيد يطلبُ الصُّلحَ وينشُد المعاهدةَ.

ووزنَ المَلكُ الأمورَ، ورأى بثَاقب عقله أن يؤخِّر مُلاحقَة أولئك الأعراب، فلا يقعُ تحتَ سيطرَتهم إقليمٌ مطلوبٌ توحيدُه وضمُّه إلى الوطن، وإنما هي معركةُ تأديب وحملةٌ أمنيةٌ على هؤلاء الأعراب. ولهذا أرسلَ كتاباً إلى ابن صباح يقولُ فيه:

. . . . قد نالني منهُم أكثرُ ممَّا نالك، فصَبَرْتُ وتحمَّلتُ، ونحنُ الآن في وقت القيظ، ولا نتمكَّنُ من شدَّته أن نسيرَ بجيش إلى ديرتهم.

والأمرُ الثاني هو أنِّي في رَيْب من صُلح ابن رشيد، فأخشَى أن ينكُثَ العهد إذا أنا غادرتُ نجداً، ودخلتُ في حرب معهم.

---

(١) النجاب: ناقل الرسائل وبريد الأمس.

والأمرُ الثالث نفقاتُ هذه الحروب، وقد تكاثرتْ عليَّ، فضاقتْ في سبيلها الأسبابُ.

والأمرُ الرابعُ- يا حضرةَ الوالد- هو أنِّي أخشَى أن يلجؤوا بعدَ الحرب إليك فتنقلب عليَّ، ومن رأيي في كلِّ حالٍ أن نؤجِّلَ المسألةَ إلى ما بعدَ فصل الصيف.

وذهبَ الرسولُ بالرسالة، وقرأهَا الشيخُ مباركٌ، وعرفَ رأيَ الملك عبد العزيز، ولكنَّه ظلَّ عندَ رأيه، وكتبَ إلى الملك عبد العزيز يقولُ: ولَدي عبد العزيز، إن الأمر لا يُؤجَّلُ ولا بُدَّ من تأديبهم وإرجاع المنهُوبات.

وردَّ الملكُ عبدُ العزيز عليه: والدي الشيخ مبارك، إنهُم لا يُرجعونَ ما ينهبونَ إلا مُكْرَهين، إلا بالحرب. ثمَّ قالَ: إذا عَزَمْتُ على مُحاربتهم تعطيني عهدَ الله وميثاقَه أن تعينَني بالمال والرجال، وألا تسلُكَ في سياستك معَهُم مسلكًا غيرَ مسلكي، ولا تستقبلهم إذا لجؤوا إليك، ولا تتوسَّط بالصلح بيني وبينهم.

وردَّ الشيخُ مباركٌ علَى الملك عبدِ العزيز بالموافقة، وعاهدَه على ما

طلَبه. وبعدَ ذلكَ توكَّلَ الملكُ عبدُ العزيز على الله، وزحفَ لتأديب العصاة من أولئك الأعراب، وقَمْع شوكتهم، وردِّ مَنهوبات الشيخ مبارك، إنه كمَا قالَ الشاعر القديم سَعدُ بنُ ناشب التميمي:

إذا هَمَّ ألقى بَين عَيْنَيه عَزْمَهُ

ونكَّبَ عن ذِكْر العَواقب جَانبا

ومشَى بفرقة صغيرة من الحاضرة والبادية في صيف عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م، وتوجَّهَ إلى منطقة الأحساء، حيثُ يقيمونَ هناكَ.

ووصلَ في شهر شعبانَ، وانضمَّ إليه آخرونَ من حاضرة الأحساء وباديتها، ثم انطلقَ الجميعُ لمهاجمة العُصَاة من رجال تلك القبيلة الجانحين. وعلمَ أولئك الأعرابُ بقدوم الملك، ففرُّوا واتجَهُوا إلى قَطَر. ولحقَ بهم الملكُ، وكان الحرُّ شديداً لا يمكنُ معَه السيرُ والمشي في النهار، فكيفَ بالقتال؟!

ولم يكنْ معَ الملك من الرواحل إلا القليلُ؛ ولهذا كان السيرُ على الأقدام، ولحقُوا بهم وقد عسكرُوا في موقع قريب من الأحساء يسمى كَنْزان، وهو جَبَلٌ حَوْلَه بعضُ موارد المياه. وكانتْ أشجارُ النخيل في

الليل تبدُو من بُعْد وكأنَّها بيوتٌ من الشَّعر. وأوقدَ أولئك الأعراب النارَ لإيهام رجال الملك عبد العزيز أنهم مقيمون في ذلك الموقع، وانسحبُوا عن خيامهم واختبؤوا في ملاجئ آمنة.

ووصلَ المحاربونَ السعوديون، وشرَعُوا يطلقونَ الرصاصَ على ما كانَ أمامَهم من أشجار وخيام؛ ظناً منهم أن الرجالَ في داخلها. وأوشكت الذخائرُ على النفادِ، وتقدَّمَ جنودُ الملك عبد العزيز للخيام والأشجار.

وما إن رآهُم أولئكَ الأعرابُ وقدْ تقدَّمُوا حتى خرجُوا من مكانهم، وأحاطوا بهم، واشتدَّ الهَوْلُ، وعَلا الصياحُ وقويَ العراك، وكانت الفوضَى، واضطربَ الأمرُ، وقُتلَ أخو الملكِ الأميرُ سعدُ بنُ عبد الرحمن، رحمَه الله وأسكنَه فسيحَ جناتِه.

وبينما الملكُ يصولُ ويجولُ إذ لحقَ به اثنان من المرافقينَ لأخيه سعدٍ فقالَ لهمَا: أين سعد؟

قالا وقد أطرقَا: لقد قُتل، لقد سبقَك إلى الجنة.

قالَ وقد هالَه الأمرُ: أنا أخُو نورة، سَعدٌ لم يُقْتَلْ، لقد أصُيبَ وانهزمتُم. أين تركتُموه؟

قالُوا: يا عبدَ العزيز، إن الأعداءَ كانُوا قابضينَ على زمام فرسه وقتلُوه ونحنُ ننظرُ إليه.

وزمجَرَ البطل، ولَوى حصانَه، وراحَ يبحثُ عن أخيه، وزادت النبالُ، وكثُرت السهامُ، وشكا الحصانُ للفارس، وكأنَّه يردِّدُ قولَ عنترةَ:

مازِلْتُ أرْمِيهِم بثَغْرَةِ نَحْرِه
ولَبانَه حتَّى تَسَرْبَلَ بالدَّمِ[1]
فازوَرَّ مِن وَقْعِ القَنَا بلَبَانِه
وشَكَا إليَّ بعَبْرَة وتَحَمْحُمِ[2]

(١) اللَبان: الصدر. وتسربل بالدم لبس قميصاً من الدم.
(٢) ازورَّ: مال. التحمحم: صوت الفرس المتقطع.

لَو كانَ يَدري مَا الـمُحاوَرَةُ اشْتكَى

ولكانَ لَوْ عَلمَ الكلامَ مُكلِّمِي

ورأى البطلُ أخـاه مُلقًى على أرض المعـركـة، فنزلَ عن فـرسـه، وصارَ يقبِّلُه. ولعلّه أنشدَ قولَ الشاعر كعب، وهو يَرثي أخَاه:

أخٌ كانَ يَكفِيني وكانَ يُعينُني

علَى نائبَات الدَّهْـرِ حينَ تَنُوبُ

فوَاللَّه لا أنْسـاهُ ما ذَرَّ شَارقٌ

وما اهتزَّ في فَرعِ الأراكِ قَضيبُ

هذه هيَ الأخُـوَّةُ، وهـذا هو الوفـاءُ، وتلك هي المروءةُ، وذلكَ هو الثبـاتُ، وإنها الشـجـاعـةُ؛ هولٌ، وموتٌ، ونارٌ، وصـدامٌ، ويذهبُ بنَفـسـه؛ فلمْ يُصـدِّق الخَـبـرَ، ويرَى أخَـاهُ مُـجندلاً، وينزلُ من فَـوق حصَانه ليقبِّلَ العزيزَ الغاليَ، و يودِّعَ الحبيبَ الراحلَ.

وتكاثرَ القومُ على البطل وأطلَقُوا رصاصَـهم فَأصَـابتْ رَصَاصَـةٌ

حزَامَهُ المملوءَ بالرصاص، وانفجرَتْ أربعُ رصاصات من حزامه، وأصابته بجراحٍ خطيرة.

وصاحَ الصائحُ: جُرِح عبدُ العزيز.. أُصِيب عبدُ العزيز.. قُتِل عبدُ العزيز.. انهزمَ عبدُ العزيز.

ولكنَّ الملكَ الشجاعَ والداهيةَ المحنَّكَ تجلّدَ وتصبَّرَ، وكأنِّي به يتمثَّلُ بقَولِ أبي ذُؤَيب الهُذليِّ:

وتَجلُّدي للشَّامتينَ أُرِيهمُ أنِّي لرَيْبِ الدَّهرِ لا أتضَعْضَعُ

وربَط جُرْحَهُ، وعاد إلى ميدان المعركة، ولَمحَ الجندَ وقد ضعُفَتْ معنوياتُهم، وخارتْ عزائمُهم، وتزعزعتْ شجاعتُهم، فقد رأوْا قائدَهم قد أصيبَ، وشاهدُوا أخاه قد قُتِلَ.

وهتفَ البطلُ في الجنود، وانتخَى: إياكَ نعبدُ وإياكَ نستعينُ، أيها الإخوانُ، لو أنِّي بقيت وحدي دونكم فلن أتقهقَرَ، لقد عزمتُ على أن أُدْفَنَ هُنا، أو أبلُغَ النصرَ، من شاءَ أن يبقَى معي فليعملْ مشكوراً، ومَن شاءَ أن يعودَ إلى أهله فليرجِعْ غير مأسوف عليه.

وصالَ البطلُ في الجموع وجالَ، ورَدَّد في المقاتلينَ نخوةَ البطولةِ والشجاعة.

وتحرَّكَت النخوةُ والحميَّةُ لدَى جنوده، واهتزَّتْ مشاعرُهم، وزادَتْ حماستُهم.

وصاحُوا: نحنُ معك يا عبدَ العزيز حتى الشهادة.

وأسرع الداهيةُ العظيمُ، والقائدُ الماهرُ، والحكيمُ البارعُ، واتخذَ قراراً عجيباً، وموقفاً غريباً، ونفَّذَ حِيلةً مُحيِّرةً نادرَةَ الوَقْع، تكادُ تكونُ خيالاً لغرابتها.

فقدْ قالَ لرجاله بعدَ أن ثبَّتَهم، وحرَّكَ النخوةَ فيهم، وربَط جُرحَه، وتجلَّدَ وتصبَّرَ: أريدُ الزواجَ.

وذُهلَ الرجالُ، واندهشَ السامعونَ، وعجبَ الحاضرونَ، أحقٌّ ما يقولُ أم خيالٌ؟!

وهل الملكُ جادٌّ وجازمٌ أو مازحٌ وهازلٌ؟

وهل الموقفُ يتحمَّلُ الزواجَ والطربَ؟

وإن كانَ الأمرُ جداً فمن أينَ يأتونَ له بزوجة؟

إنها الليلةُ الرهيبةُ، إنه الموتُ الزؤامُ، إنها النارُ المحرقةُ.

ثم ماذا عساهُ يريدُ بها وهو الجريحُ المصابُ، وأخوه قتيلٌ، وأنصارُه شَذَرَ مَذَرَ؟!

إنَّ أمرَك عجيبٌ يا عبدَ العزيز! إن طلبَكَ غريبٌ ياسيدَ الأبطال!

ونظرَ بعضُهم إلى بعض وتساءلُوا بعيونهم وتهامَسُوا بقلوبهم.

وأصرَّ الملكُ علَى الزواج في تلكَ الليلة الليلاء، وبحثُوا ووجدُوا امرأة سرَّها أن تكونَ حليلةً للملك، وأسعدَها أن تكونَ زوجةً للبطل.

وجاؤوا له بتلك المرأة وأدخلُوها إلى خيمَته. يقولُ رحمَه الله: «أحضَرُوها إلى خيمَتي. كنتُ أنظرُ إليهَا من بعيدٍ فأراها كومةً سوداءَ أمامَ عينيَّ».

لم يمسَّ المرأةَ، ولم يشعر بوجودِها، ولكنَّه الذكاءُ والعظمةُ،

والدهاءُ والسياسةُ.

فقد تحدَّثَ الرجالُ عَن هذا الزواج، وشاعَ الخبرُ أن عبدَ العزيز تزوَّجَ، ووصلَ النبأ إلى المحاربينَ.

فقالَ رجالُ الملك: إنه بخير والحمدُ لله.

وقالَ الغزاةُ: كيفَ يتزوجُ من قُتلَ؟ كيف يتزوَّجُ من هُزمَ؟

إنَّ أخبارَ هَزيمته باطلةٌ، إن أنباءَ مَقْتله كاذبةٌ. خَبرٌ مُضادٌّ، وإعلانٌ مُعاكسٌ، دَلَّ على بارع ذكاء القائد، وعظمة فكر البطل.

واضطرب الأعرابُ، وتقهقَرُوا، وعاد الملكُ عبدُ العزيز برجاله إلى الأحساء.

وبقيَ الملكُ في الأحساء قرابةَ ثلاثةَ أشهر، وأولئك الأعرابُ حولَ الأحساء يمرحونَ، والملكُ يتميَّزُ من الغيظ عليهم.

وكتبَ الملكُ يطلبُ النجدةَ من أبيه في الرياض ومن مبارك الصباح الذي دفعَه لقتالهم وعاهدَه على المساعدة والعون.

وجاءَ أهلُ نجد يتسابقونَ بقيادة الأمير محمد بن عبد الرحمن،

وأرسلَ ابنُ صباحٍ ابنَه الثانيَ سالماً بقوة قوامُها مائةٌ وخمسونَ رجلاً .

وحينَ وصلتْ تلكَ القواتُ خرجَ الملكُ عبدُ العزيز بمَنْ معَه، وشنَّ الهجمات على أولئك المتمرِّدين من الأعراب، فانسحبُوا من مواقعهم، واتجهُوا شمالاً، ثمَّ أرسلَ الملكُ عبدُ العزيز أخاه محمداً لمطاردة أولئك الجناة وتأديبهم .

وهكذَا عاشَ أثناءَ الحرب الكبرَى في الحياد والبُعد عن تلكَ الدُّول، ولكنَّه اكتوَى بحروب في الداخل، وبملاحقة عُصاة ومتمرِّدين، وقد وفّقَه الله في إنهاكهم، وحقَّقَ الله له العزَّ والمجدَ، فمِنْ نصر إلى نصرٍ .

وفي الحلقةِ القادمةِ عرضٌ لبطولةٍ أخرى، وتحدٍّ آخر.